# الإنجيل

## بين بيزنطية والإسكندريّة

القس د. غسّان خلف

# عرض ماهِيَّة هذا الكتاب

# والغاية من إصداره

هذا الكتاب بإيجاز هو مُقابلة ومقارنة بين "النصّ المقبول" الذي يُمثّل المخطوطات اليونانيَّة التي كانت تُنسَخ في مدينة بيزنطية (القسطنطينيَّة)، أي إسطنبول المُعاصرة في تركيا، و"النصّ المُحقَّق" الذي يمثّل المخطوطات اليونانيَّة التي كانت تُنسَخ في مدينة الإسكندريَّة في مصر.

يعرضُ "النصّ المقبول" نصّ المخطوطات اليونانيَّة، المتوافق عليه، الذي اعتمدته القيادةُ الكنسيَّة في القسطنطينيَّة، بين القرنَين السادس والسابع، ليُنشَر ويُعمَّم في كلّ المسكونة. وبقي هذا النصّ اليونانيّ البيزنطيّ قيد النَّسْخ حتى القرن السادس عشر حين نشره إراسمُس مطبوعًا على آلة الطباعة عام ١٥١٦، فأَخذ تداوله يتنامى وينتشر في أُوروبا والعالم. يحوي "النصّ المقبول" نصَّ مخطوطات متأَخرة تاريخيًّا، وحدث خلال نسخها طيلة قرون، الكثير من أَخطاء النَّسْخ، وضُمَّ إليها ما استحسنه النسَّاخ من آراء صائبة أَو خاطئة. ونُقل عنه ترجمات لا حصر لها إلى جميع اللّغات، منها "ترجمة الملك جايمس" باللّغة الإنكليزيَّة، و"ترجمة البستاني–فاندايك" الشهيرة باللّغة العربيَّة.

ويعرض "النصّ المُحقَّق" نصّ المخطوطات اليونانيَّة التي تمَّ اكتشافها ابتداءً من القرن التاسع عشر، ويحوي مخطوطات يونانيَّة معظمها تمَّ نسخه في الإسكندريَّة، ويعود تاريخها ابتداءً من القرن الثاني إلى القرن الخامس الميلادي. وهي كانت أَقلّ عِرْضة لأَخطاء النَّسْخ، وهي أَنقى وأَصحُّ، ومُعتَمَدَة في إصدار كلّ ترجمات الكتاب المقدّس الحديثة في جميع أَنحاء العالم.

## العمل التحضيري للمقارنة المُدرجة في هذا الكتاب

قام المؤلِّف في سبيل تحقيق عمل المقارنة هذا بقراءة النصّ اليونانيّ بطبعتَيه، ومقابلتهما ببعض: طبعة "النصّ المقبول" التي أَصدرها استفانوس عام ١٥٥٠، وطبعة "النصّ المُحقَّق" رقم ٢٧ التي يُصدرها بعمل مشترك مؤسسةُ "نستله–أَلاند" في أَلمانيا، و"اتِّحادُ جمعيّات الكتاب المقدّس" في طبعته الرابعة المنقّحة، ومكتبه الرئيس في نيويورك، الولايات المتحدة.

وتجدر الإشارة إلى أَن المؤلِّف اطَّلع على ما تمَّ تحقيقه مجدَّدًا في الطبعتَين الجديدتَين المشتركتَين، طبعة "نستله–أَلاند" رقم ٢٨ التي صدرت عام ٢٠١٢، وطبعة "اتِّحاد الجمعيّات" رقم ٥ التي صدرت عام ٢٠١٤، وأَدرج القراءات المُحقَّقة حديثًا في هاتَين الطبعتَين في نهاية الفصل الثاني، "قصّة النصّ المُحقَّق".

قرأَ المؤلِّفُ طبعتَي العهد الجديد في نصّه اليونانيّ معًا، طبعة "النصّ المقبول" وطبعة "النصّ المُحقَّق": كتابًا كتابًا، وعددًا عددًا، وكلمةً كلمةً، من مطلع إنجيل متّى إلى نهاية كتاب الرؤيا. وقام بتسجيل كلّ اختلاف يرد بين الطبعتَين، فتجمّع لديه عددٌ يصل إلى نحو عشرة آلاف اختلاف. تتراوح هذه الاختلافات ابتداءً من حرف واحد، يزيد، أَو ينقص، أَو يُبدَل بين كلمة من هنا وكلمة من هناك، مرورًا بحروف الجرّ، وأَدوات الوصل، والاستدراك، والضمائر، وأَسماء الإشارة، وبكلمات، أَو عبارات، تزيد أَو تنقص أَو تُبدَل أَو تُعدَّل أَو تُقدَّم وتُؤخَّر بعضها على بعض بين هذا النصّ وذاك، وصولاً إلى آياتٍ ومقاطعَ كاملة تزيد أَو تنقص في نصّ الطبعتَين.

تَظهر كلُّ هذه الاختلافات التي ذُكِرَت آنفًا بين الطبعتَين، "النصّ المقبول" و"النصّ المُحقَّق"، في حال وُضع النصّ اليونانيّ في كلا الطبعتَين، الواحد في مقابل الآخر. وأَعتقد أَنَّ هذا ممكنٌ الآن من خلال برامج معيّنة عبر الكومبيوتر. ولكن بشأْن العمل الذي يَقوم المؤلِّف بتحقيقه وإبراز نتائجه في اللّغة العربيَّة، اعترضَت طريقَه مشكلاتٌ من نوع آخر. فمن غير الممكن إطلاقًا إبراز كلّ هذه الاختلافات، وكميّةٌ كبيرةٌ منها دقيقةٌ للغاية وتتمثل باختلاف حرف في الكلمة الواحدة، أَو بإبدال حرف جرٍّ بآخر يحمل المعنى نفسه، أَو بتعديل زمن الفعل بزمن لا مثيل له في اللّغة العربيَّة. فما العمل في هذه الحالة؟

إنَّ الواقعيَّة تفرض أَن تُعرَضَ في هذا الكتاب كلُّ الاختلافات التي يمكن التعبير عنها باللّغة العربيَّة، أَمَّا ما لا يمكن التعبير عنه من لغة إلى أُخرى، فمن نافلة القول التأْكيد على أَنَّه غير ضروري. لذلك قمتُ بإدراج كلّ الاختلافات التي يمكن ترجمتها إلى العربيَّة، واستثنيتُ غيرَها، إذ هي في باب الاختلافات غير المهمَّة، أَو التي لا قيمة لها من جهة تقرير معنى نصّ العهد الجديد. ومن يرغب في الاطِّلاع على كامل عدد القراءات المختلفة وأَشكالها اللّغوية بين الطبعتين، "النصّ المقبول" و"النصّ المُحقَّق"، فعليه أَن يُقابل بين النصَّين المذكورَين في اللّغة اليونانيَّة.

إنَّ النتيجة المحصَّلة من إحصائيَّة الاختلافات في قراءات نصّ العهد الجديد بين الطبعتين "النصّ المقبول" و"النصّ المُحقَّق"، تُظهر أَنَّ نحو ستة آلاف اختلاف تُعَدّ بغير ذي قيمة، لذلك لا تظهر في هذه المقابلة في اللّغة العربيَّة التي يعرضها هذا الكتاب، وإنَّ ما يعرضه الكتاب هنا هو المقارنة بين نحو أَربعة آلاف اختلاف كان بالإمكان ترجمتها من اليونانيَّة إلى العربيَّة.

## أُسلوب عرض المقابلة

يعرض هذا الكتاب المقابلة بين "النصّ المقبول" و"النصّ المُحقَّق" باللّغة العربيَّة. إنَّ النصّ المُستعمل أَساسًا للمقارنة هو نصّ العهد الجديد المُترَجَم بترجمة "البستاني–ڤاندايك"، ويرد أَوّلاً في المقابلة مع الشاهد الرقميّ لموقعه، وتليه ترجمةُ المؤلّف قراءات "النصّ المُحقَّق". استُعمل النصّ العربيّ الخاصّ بترجمة البستاني–ڤاندايك في هذه المقابلة لأَنه نُقِل إلى العربيَّة عن "النصّ المقبول"، وهو يُمثِّل هذا الأَخير خير تمثيل. وقام المؤلِّف بترجمة ما اختلف في "النصّ المُحقَّق" عن "النصّ المقبول" بدقّة متناهية، محافظًا في الوقت ذاته على أُسلوب لغة "ترجمة البستاني–ڤاندايك"، كي تبرز الاختلافات بين النصَّين بكلّ وضوح.

حرص المؤلِّف على أَن تكون المقارنة بين النصَّين واضحة جدًّا. ويوجد في مطلع جزء المقارنة دليلٌ يساعد على قراءة الاختلافات المعروضة فيه بيُسْر وسهولة.

## التمهيد العلميّ لفهم ظاهرة القراءات المختلفة، موضوع هذا الكتاب

في سبيل تقدير الغاية من هذا الكتاب، وقيمة المقارنة بين النّصوص اليونانيَّة في مخطوطات العهد الجديد، والجهد العلميّ الذي بُذِل في سبيل استرداد نصّ العهد الجديد اليونانيّ بصورة تطابق الأصل إلى أَقصى حدٍّ ممكن، رأَيتُ أَنّه من الضروريّ أن يُجرى التمهيد لفهم هذا الموضوع المهمّ والشائك، من خلال كتابة ستَّة فصول تُرْفق بهذا الكتاب–المقارنة، وتكون بمثابة تقديم لهذه المادة العلميَّة الدقيقة. وقد وُضِعت هذه وفق الترتيب التالي: الفصل الأوَّل: قصّة "النصّ المقبول"، تليه قصّة "النصّ المُحقَّق"، ثم ترجمات العهد الجديد الحديثة واعتمادها على النصّ المُحقَّق، فتقديم موجز لعلم تحقيق النّصوص، تليه لمحة عن تاريخ الكتابة والنَّسْخ قبل عصر الطباعة، وأخيراً عرض تحليليّ لعادات النُّسَّاخ وتداعياتها على نصّ العهد الجديد. وأُوصي بأَن تُقرأَ هذه الفصول بالتتابع حسب ترتيبها الوارد في جدول محتوى الكتاب، قبل الاطِّلاع الجدِّي على جداول المقارنة بين القراءات المختلفة في كتب العهد الجديد، جَنْيًا للفائدة المرجوَّة.

## حساسيّة الموضوع

يتناول هذا الكتاب موضوعًا حسَّاسًا يثير الكثير من الجدل، كيف لا وهو يختصّ بالكتاب المقدَّس، وبالتحديد كتب العهد الجديد منه، أَساس الإيمان المسيحي ومرتكزه. وحساسيّة الموضوع والجدل حوله ناتجان من اعتبارنا كتب العهد الجديد كتبًا مقدَّسة. وفي الواقع، إنَّ المفهوم السائد في الكنائس حيال كتب العهد الجديد هو أنَّها معصومة وخالية من الخطأ، فبالتالي يكون موضوعُ هذا الكتاب، أي المقارنة بين مخطوطات العهد الجديد اليونانيَّة، حديثها وقديمها، والفروقات بينها، سببَ إثارة العديد من الأَسئلة حول سلامة نصوص هذه الكتب وصحّة وحْيِها، وإمكانيّة تصديقها كمراجعَ موثوقٍ بها.

من هنا التحدّي الكبير الذي لازمني عشراً من السنين وأَنا أُجهِد الفكر حول نشر هذا الكتاب، ومدى منفعته للحياة العلميَّة في الشّؤون الكتابيَّة (البيبليَّة) في الكنائس المسيحيَّة في عالمنا العربي، وبخاصة تلك التي تستعمل ترجمة الكتاب المقدَّس المعروفة باسم "ترجمة البستاني–فاندايك"، أَو "الترجمة البيروتيَّة". إنَّ ما دفعني في النهاية لكي أَنشر هذا الكتاب، يتبيَّن من الأَسباب الموجبة التالية:

**السبب الأَوّل**: تقديم ترجمة للعهد الجديد مؤسّسة على نصّ يوناني مُحقَّق متين وسليم

إنَّ الترجمة المعروفة باسم "ترجمة البستاني–فاندايك"، التي تستعملها معظم الكنائس في العالم العربي، قد مضى على صدورها (عام ١٨٦٥) قرنٌ ونصف من الزمان. ولقد جرى احتفالان كبيران (عام ٢٠١٥)، واحد في بيروت وواحد في القاهرة، بمناسبة ذكرى المئة والخمسين سنة على صدورها.

هذه الترجمة العريقة الشهيرة، الأَوسع انتشاراً واستخدامًا من كلّ ما عداها من ترجمات الكتاب المقدَّس العربيَّة، بقيت على حالها دون أَيّ تنقيح، أَو تصحيح، أَو تعديل، أَو ضبط في نصّها طوال هذه المدّة.

ومع أَنَّ "جمعيّة الكتاب المقدَّس" في بيروت، بالتعاون مع "دار الكتاب المقدَّس" في القاهرة حاولتا إصدار تنقيح لنصّ العهد الجديد المترجم بهذه الترجمة في الستينيَّات (عمل فيه الدكتور بطرس عبد الملك، والدكتور جون طومسون)،

وفي التسعينيَّات (عمل فيه الدكتور عبد المسيح استفانوس ومؤلّف هذا الكتاب) من القرن الماضي، فإنَّ هذين العملَين لم يريا النور، على الرغم من اكتمالهما، ولم يصدر أَيٌّ منهما بطبعة رسميّة، بل صدرت من التنقيح الأَوّل طبعةٌ كتبُها مجلَّت مصوّرة مع نصّ العهد الجديد، وصدرت من الثانية كتبٌ مُفردة كنماذج (الأَناجيل الأَربعة وأَعمال الرسل).

ونأْمل خيراً من المحاولة الأَخيرة لتنقيح "ترجمة البستاني–ڤاندايك" التي تقوم بها "الجمعيَّة" في بيروت و"الدار" في القاهرة، وقد انطلقت عام ٢٠٠٦، وتعثَّرت في إثر أَحداث مصر عام ٢٠١١، ولا نتمنى لهذه المحاولة الأَخيرة مصير سابقتيها.

بناءً على ما ذكرته آنفًا من توقُّف عمل التنقيح في ترجمة البستاني–ڤاندايك، أَو فشله، وبناءً على حاجة الكنائس التي تستعمل هذه الترجمة إلى دليل يساعدها على رؤية الحاجة إلى تنقيحها، قام مؤلّف هذا الكتاب بعملَين:

## العمل الأَوَّل: كتاب "أَضواء على ترجمة البستاني-ڤاندايك" (العهد الجديد)

صدر هذا الكتاب "أَضواء على ترجمة البستاني–ڤاندايك" (العهد الجديد)، عام ٢٠٠٩، واشترك في نشره جمعيَّة الكتاب المقدَّس في لبنان والمؤلّف، وكانت الغاية منه معالجة المواضع الغامضة في نصّ "ترجمة البستاني–ڤاندايك" للعهد الجديد وتصحيح أَخطائها، أَكانت في الترجمة، أَم في اللّغة. عالج هذا الكتابُ المواضع في الترجمة حيث قصَّر المترجمون في أَداء المعنى باللّغة العربيَّة نقلاً عن النصّ اليونانيّ الذي استُعمل كأَساس لها، أَلا وهو "النصّ المقبول". ولم يتطرّق الكتاب إطلاقًا إلى الاختلافات بين "النصّ المقبول" و"النصّ المُحقَّق". تناول الكتاب بالتصويب عددًا كبيراً من العبارات والمصطلحات اللغويَّة والتاريخيَّة واللاهوتيَّة، وذلك بالإضاءة على معظم المواضع الغامضة في الترجمة، فساعد على فهم نصّ الترجمة بطريقة أَفضل. وفَّر هذا الكتاب لمستعملي هذه الترجمة دليلاً بالتصحيحات يساعدهم على الاستمرار في استعمال هذه الترجمة العريقة ردحًا من الزمن، إلى أَن يصدر لهذه الترجمة نصٌّ منقَّحٌ تنقيحًا شاملاً.

## العمل الثاني: هو هذا الكتاب "الإنجيل بين بيزنطية والإسكندريَّة"

يوفِّر هذا الكتاب لدارس العهد الجديد نصًّا يونانيًّا محقَّقًا متينًا وسليمًا ومترجمًا إلى العربيَّة، لا يعود بعده الدارس إلى مراجعة ترجمات عربيَّة، أَو أَجنبيَّة أُخرى، طلبًا للتيقُّن من سلامة القراءة أَمامه. لذا، يُعتبر هذا العمل ضروريًّا ولا غنى عنه، في هذه المرحلة التي تنتظر فيها جميع الكنائس التي تستعمل "ترجمة البستاني–ڤاندايك" صدور نصٌّ منقَّح تنقيحًا شاملاً لهذه الترجمة.

يكمِّل هذان الكتابان أَحدهما الآخر، كلٌّ في مجاله، في معالجة نصّ العهد الجديد في "ترجمة البستاني–ڤاندايك"، والعُقبى لكتاب أَو أَكثر، يعالج نصّ العهد القديم في هذه الترجمة.

**السبب الثاني**: الحثُّ على القيام بتنقيح شامل لترجمة البستاني-ڤاندايك

إنَّ السبب الثاني الذي يدفعني لنشر هذا الكتاب، هو حثُّ الكنائس التي تستعمل "ترجمة البستاني–ڤاندايك" على القيام بتنقيح شامل لترجمة الكتاب المقدَّس هذه انطلاقًا من العهد الجديد. لقد تبيَّنت من الكتابين اللذَين أَصدرتُهما، "الأَضواء" و"بين بيزنطية والإسكندريَّة"، الحاجةُ الماسة لتنقيح العهد الجديد في ترجمة البستاني–ڤاندايك وضبط نصّه، وهذا لا يعني أَنَّ العهد القديم في هذه الترجمة لا يحتاج إلى عمل مماثل. صحيح أَنَّ في علم تحقيق النّصوص الخاص بالعهد القديم، لا يعاني مزاولوه معاناة من يزاولون تحقيق نصوص العهد الجديد لسبب ندرة مخطوطات العهد القديم العبرانيَّة بالمقارنة مع كثرة مخطوطات العهد الجديد اليونانيَّة. على الرغم من ذلك، إنَّ العهد القديم يحتاج إلى تنقيح لتصويب الترجمة وتنقيحها لضبط المعنى العربيّ كي يطابق النصّ العبرانيّ من جهة، ويحتاج إلى ضبط النصّ العبرانيّ فيه، في ضوء علم تحقيق النّصوص، ليتوافر لمستخدمي ترجمة البستاني–ڤاندايك نصٌّ عبرانيٌّ محقَّقٌ متينٌ وسليم من جهة أُخرى، خصوصًا بعد اكتشاف "مخطوط حلب" عام ١٩٤٧ في مدينة حلب الذي يحوي العهدَ القديم بكامله، إضافة إلى اكتشاف مخطوطات البحر الميت على مراحل من عام ١٩٤٧ إلى ١٩٥٦، التي تحوي كتبَ العهد القديم جميعها ما عدا كتاب أَستير.

في احتفالات ذكرى القرن والنصف على صدور "ترجمة البستاني–ڤاندايك" التي جرت عام ٢٠١٥ في بيروت والقاهرة، قمتُ بالمناداة خلال محاضراتي فيها بضرورة إجراء تنقيح شامل لهذه الترجمة الشهيرة. ويبدو بوضوح أَنني لم أَكُن الوحيد بين المنادين بذلك، ولا الأوَّل. ففي مناسبة اليوبيل المئويّ لترجمة البستاني–ڤاندايك عام ١٩٦٥، صدر في تلك السنة عن جمعيّة الكتاب المقدَّس ومجمع الكنائس في الشرق الأَدنى كتابٌ صغير بعنوان "الكتاب المقدَّس في اللّغة العربيَّة" بقلم الأُستاذ إبراهيم مطر، يقول فيه (ص ٢٧–٢٨):

> "ويعتقد كثيرون من دارسي الكتاب المقدَّس ... أَنَّ الترجمة التي قاموا بها (سميث وڤاندايك ومَن عاونهم) ... بحاجة ملحّة الآن للتنقيح لأَنه قد مرّ على اللّغة العربيَّة في هذه المئة من الأَعوام تغيّرات كثيرة ... كان المترجمون قد اتبعوا أُسلوبًا قلَّدوا فيه العبريَّة واليونانيَّة واضعين ترجمة حرفيّة لاصطلاحات تلك اللّغتين، فظهرت هذه في بعض الأَحيان غامضة وغير مفهومة.
>
> "أَما الآن وبعد مضيّ قرن من الزمن، فقد أَصبح العلماء أَقدر على فهم الكثير من الاصطلاحات وإدراك معناها الصحيح، هذا فضلاً عن مكتشفات علم الآثار وما عُثر عليه من مخطوطات من اللّغات القديمة وكتابات العالم القديم".

وطالما أَنَّ "جمعيَّة الكتاب المقدَّس" في لبنان و"دار الكتاب المقدَّس" في مصر لديهما مشروع لتنقيح "ترجمة البستاني–ڤاندايك" قائمٌ الآن، وكلتاهما يصدرانها منذ زمن طويل، ولديهما الإمكانيَّة لفعل ذلك، أَرى أَن تستغلَّ الكنائس التي تستعمل هذه الترجمة هذه الفرصة، وتساند "الجمعيَّة" و"الدار" لإكمال تحقيق هذا المسعى الجزيل الفائدة للكنائس في العالم العربي وشعوبه.

**السبب الثالث:** دحض تهمة التحريف التي تُرشق بها كتب العهد الجديد

مرَّ زمنٌ كان يعتقد فيه كثيرون في العالم المسيحيّ أَنَّ إبراز القراءات المختلفة بين مخطوطات الإنجيل يشكّل خطراً داهماً على الإيمان المسيحي. فعندما أَصدر العلماء وستكوت وهورت وتريجيلِّس نصوصًا مُحقَّقة لكتب العهد الجديد، في أَواخر القرن التاسع عشر في إنكلترا، مبنيّة على أَقدم المخطوطات اليونانيَّة وأَصحّها، ثارت ثورة زوبعيّة في وجههم انتقادًا ومعارضة لما فعلوه، فقط لأَنهم تركوا "النصّ المقبول" التقليديّ المتوارث المليء بأَخطاء النسخ، وتبعوا بكل جرأَة النصَّ اليونانيَّ الأَقدم والأَصحَّ، إذ كانت محبّة الحقّ تحثّهم.

وتكرّر الأَمر نفسه عندما صدرت عام ١٩٥٢ في الولايات المتحدة "الترجمة القياسيَّة المنقّحة" The Revised Standard Version كاملة، حيث جمع غلاة المتطرفين، المتمسّكين بطبعة "الملك جايمس" العريقة، في أَكثر من مدينة، مئات النسخ من "الترجمة القياسيَّة المنقّحة" وأَحرقوها تعبيراً عن سخطهم عليها. كانت دعوى هؤلاء مرتكزة على أَنَّ هذه الترجمة الجديدة تحوي قراءات وتغفل أُخرى تعوَّدوها في "ترجمة الملك جايمس" المبنيّة على "النصّ المقبول"، وهالهم أَن يُهجَر هذا النص التقليدي، ويُتَبنَّى نصٌّ جديد مُكتشَف حديثًا. لقد شعروا بأَنَّ الأَرضَ تميد تحت أَقدامهم لمجرد اختلاف القراءات بين المخطوطات اليونانيَّة، الظاهر بين ترجمات الكتاب المقدَّس إلى الإنكليزيَّة الموجودة بين أَيديهم. ونحن في الشرق العربيّ لسنا بعيدين عن هكذا أَجواء بين محبّذي بقاء "ترجمة البستاني–ڤاندايك" كما هي إلى الأَبد. وتنتشر بين هؤلاء آراءٌ تقول إنَّ إجراء أَيّ تنقيح أَو تغيير في الإنجيل هو بمثابة تقويض للإيمان المسيحي ولكيانه في الشرق، في عالم إسلامي يعتبر القرآن مُنزلاً لا يتغيّر؛ فيتمسَّكون بنصِّ الترجمة العربيَّة للكتاب المقدَّس، ويستميتون في إبقائه على حاله خوفًا من اتِّهام قد يبديه بعض المسلمين بتحريف الإنجيل. ويغرب عن بالهم أَنَّ نصَّ القرآن نفسه لا يخلو من اختلافات في قراءاته في النُّسَخ التي سبقت توحيد القراءات في القرآن الذي جمعه الخليفة عثمان بن عفَّان. وكان علماء الإسلام في القرون الأُولى من الهجرة يبحثون في اختلاف القراءات في نُسَخ القرآن بلا حرج، بل يقومون بما أُوتوا من علم ومنطق بضبط القراءات وتصحيح ما شذَّ منها، وأَلَّفوا عددًا من الكتب التي تتعلّق بهذا الشأن (راجع الفصل الخامس).

**السبب الرابع:** كشف عادات النسّاخ وتجربتهم في مجال نسْخ الإنجيل

ومن غايات هذا الكتاب كشف عادات النسَّاخ خلال قيامهم بنسْخ الإنجيل والاطِّلاع على تجربتهم في هذا المجال. إنَّ عمل النسَّاخ يبقى مجهولاً وغيرَ مُقدَّرٍ حتى يُسلَّط عليه الضوء، فتنكشف المعاناة التي كان يعيشها النسَّاخ، والعمل الدؤوب الذي كانوا يضطلعون به، والآلام الجسديَّة والنفسيَّة والروحيَّة التي كانت تتمزقهم خلال عملهم. ما كان العمل في النّصوص المعتبرة مقدّسة يمرُّ بالضمير مروراً سهلاً. كان النّاسخ يتوقَّف خلال مآزق النقل محتاراً ومضطرب الأَلباب، يتساءل أَيّ قراءة يختار من لفظتين تردِان في مخطوطتين أَمامه؟ وأَيّ لفظة يُدرِج في محلّ كلمة مشوَّهة الكتابة لم يقدر أَن يفهمها؟ وفي هذه الحال، أَيبدّلها بكلمة يختارها هو تنسج مع سياق النصّ أَمامه؟ أَم يُغفلها ويتجاوزها إن كان ذلك لا يُعيب تركيب الجملة؟ وإذا كانت اللفظة التي ينقلها ما عادت تعني ما كانت تعنيه قبل خمسة قرون أَو سبعة، أَيبقيها على حالها أَم يغيِّرها ليفهمها قرَّاء الإنجيل في عصره؟ أَلا نفعل اليوم الشيء نفسه خلال قيامنا بتنقيح ترجمات الكتاب المقدَّس كلَّما تقادم العهد على لغتها؟

إنَّ الكثير من هذا، عدا أَسباب أُخرى عفويَّة ومقصودة، رافقت عمليَّات النسخ، ولا نقدّرها حقَّ قدرها حتى ندخل في مجال "علم تحقيق النّصوص" الذي ما كان ليوجد لولا عادات النسَّاخ وهفواتهم، الأُمور المطروحة بتفاصيلها في الفصل الرابع من هذا الكتاب، حيث يجد القارئ تقديمًا موجزاً لعلم تحقيق نصوص مخطوطات العهد الجديد وكيفيَّة تبيان القراءات الأَصليّة فيها.

**السبب الخامس**: كشف الميول اللاهوتيَّة والأَخلاقيَّة والثقافيَّة-الحضاريَّة على مدى تاريخ الكنيسة قبل عصر الطباعة

تزوّدُنا القراءات المختلفة الناتجة عن أَيدي النسَّاخ بمعلومات ذات قيمة بالغة تتعلّق بالميول اللاهوتيَّة والأَخلاقيَّة والثقافيَّة–الحضاريَّة على مدى تاريخ الكنيسة، وبالتحديد من بداية عمليّات نسْخ مخطوطات العهد الجديد التي ترجع إلى القرن الثاني والثالث الميلادي حتى عصر الطباعة في القرن الخامس عشر.

إنَّ الباحث في ثنايا القراءات المختلفة التي تذخر بها المخطوطات اليونانيَّة لكتب العهد الجديد، يمكنه أَن يلاحظ الكثير من الميول والآراء اللاهوتيَّة والتوجُّهات الثقافيَّة التي كانت تعتمل في صدور النسَّاخ، أَو القَيِّمين على عملهم، وتظهر في ما يدوِّنونه. كان ذلك يظهر في كلّ مرحلة من مراحل تاريخ الكنيسة، وكذلك في جميع الأَنحاء التي كان يُنسَخ بها الإنجيل على المدى الجغرافيّ الذي انتشرت فيه الكنيسة.

تُلقي هذه الميول والتوجُّهات أَضواءَ كثيرة على تقدُّم الفكر اللاهوتي في تاريخ المسيحيَّة وتساعد على فهم الممارسات والشعائر الكنسيَّة، وعلى ملاحظة اختلافها أَحيانًا بين الشرق والغرب. إنَّ كتب العهد الجديد التي تصدر باللّغة اليونانيَّة القديمة من قِبل دور علميَّة، تتضمّن دائمًا في أَسفل صفحاتها حواشٍ تذخر بالقراءات المختلفة، ومصادر هذه القراءات، وتواريخ نسْخ المخطوطات التي استُلَّت منها. وكم نادت محتويات الحواشي من الباحثين لكي يكتبوا ما يمكن أَن يُسمَّى "أَبحاث في لاهوت حواشي العهد الجديد"، في مقابل ما كُتب حول "أَبحاث في لاهوت نصّ العهد الجديد".

إنَّ مراجعة الفصل السادس وثمَّ السابع المختصَّين بعادات النسَّاخ وبجداول القراءات المختلفة تكشف الكثير حول هذا الموضوع وتفتح آفاقًا جديدة وواسعة في أَبحاث العهد الجديد والفكر المسيحيّ في تاريخ الكنيسة.

**السبب السادس**: تأكيدُ صدقيّة نصّ العهد الجديد اليونانيّ المُحَقَّق من خلال المقارنة بين المخطوطات اليونانيَّة وتمتين الثقة في الاعتماد عليه

إنَّ تأكيد صدقيّة نصّ العهد الجديد اليونانيّ الأَصليّ مؤسَّس على تراكم نتائج علم تحقيق النّصوص على مدى القرنين الماضيين بيد علماء أَفذاذ أَمثال كارل لاخمان، وقسطنطين فون تيشندورف، وكورت أَلاند من أَلمانيا، والعالِمَين وستكوت وهورت اللذين عملا معًا، وتريجيلِّس وجورج كيلباترك، وهم من بريطانيا، ولاغرانج وليون فاغاني من فرنسا، وأَرنست كولويل وبروس ميتزغِر من أَميركا. فكانت الحصيلة صدور نصّ محقَّق للعهد الجديد عام ١٩٧٥ وهو أَقرب إلى النصّ الرسولي من أَيّ نصٍّ مُحقَّقٍ سبقه. قام بالعمل على تحقيق هذا النصّ "مؤسسة نستله–أَلاند"

و"اتِّحاد جمعيَّات الكتاب المقدَّس"، وأَصدرتاه في طبعتين بنصّ واحد وغايتين مختلفتَين. وهذا النصُّ بطبعتيه هو الأَكثر استعمالاً بين الكنائس وكليَّات اللاهوت والعلماء والباحثين في عصرنا الحاضر.

هل نجحنا في استرداد العهد الجديد اليونانيّ في أَنقى نصّ ممكن بعدما عانى الكثيرَ من الاضطراب بسبب الأَيادي التي توالت على نسخه جيلاً بعد جيل؟ بنعمة الله وقدرته نقول: نعم، نجحنا، وبكلِّ يقين!

ما الذي يدعو إلى كلّ هذا التفاؤل بالنسبة إلى تحقيق النصّ اليونانيّ للعهد الجديد واسترداده؟

## أَوَّلاً: توافقُ غالبيَّة العلماء على نتائج تحقيقات "علم تحقيق النّصوص"

في المبدأ، لا تصبح الأَبحاث العلميَّة حقائق ثابتة إلاَّ بعد توافق رأْي العلماء حيالها، وينسحب هذا المبدأُ على موضوع "علم تحقيق النّصوص". لقد نال النصّ اليونانيُّ المُحقَّق والموحَّد بطبعتي "نستله–أَلاند" و"اتِّحاد جمعيّات الكتاب المقدّس" الموافقة والتأْييد شبه الكاملين من معظم دوائر علم الكتاب المقدّس والجمعيّات المختصّة المتفرّعة منها. وينال "النصّ المُحَقَّق" كلَّ يوم تأْييدًا جديدًا من قِبل علماء الكتاب المقدّس ولغاته الأَصليّة وتترسَّخ الثقة في الاعتماد عليه.

## ثانيًا: التوصّلُ إلى نصّ محقّق ثابت بنسبة ٩٩٪ في ما يخصّ القضايا الجوهريَّة

إنَّ معظم الاضطرابات التي سبَّبها النسَّاخ في نصّ العهد الجديد، وعددها يبلغ الأُلوف، هي غير مهمّة. إنَّها تقع ضمن التغييرات في لفظ أَسماء العلَم والتقديم والتأْخير واستعمال أَدوات العطف بالتبادل وإغفال حرف من كلمة أَو زيادة حرف عليها، ممّا لا يُخلُّ بمعناها.

أَمَّا التعديلات المهمّة التي اعترت نصّ العهد الجديد فتبلغ بضع مئات، وجرى حلّ إشكالاتها من مقارنة المخطوطات وتطبيق قواعد "علم تحقيق النّصوص" عليها وتمَّ جلاؤها.

تبقى القراءات المختلفة التي تُصنَّف جوهريّة فلا يتجاوز عددها العشرين، وهذا عدد لا قيمة له في الحساب النسبي عندما يقارَن بحجم أَدب العهد الجديد كلّه. إنَّ القراءات المختلفة المحسوبة جوهريّة تقع في باب القراءة الثابتة أَو المحتملة. أَعني بهذا أَنَّ علماء تحقيق النّصوص وضعوا لنا في متن النصّ القراءةَ التي حسبوها باجتهادهم أَكثرَ صحّة من غيرها، ووضعوا في الحاشية القراءةَ التي تتلوها في القيمة ثم الثانية والثالثة، وهكذا لم يُفقَد شيء من كلمات نصّ العهد الجديد، فهي إمَّا واردة في النصّ وإمَّا واردة في الحاشية. ما من نتيجة ثابتة تعادل هذه النتيجة المؤسّسة على العلم الصحيح في الكتاب المقدّس، وتدعونا في الوقت نفسه إلى الاعتماد على نصّ العهد الجديد وتمتين الثقة فيه.

## ثالثًا: لم تضطرّ الكنيسة بسبب نتائج "علم تحقيق النّصوص" أَن تقوم بتنقيح عقائدها

ولتأْكيد سلامةِ نصّ العهد الجديد اليونانيّ الرسوليّ كما هو بين أَيدينا اليوم، وتمتين الثقة في الاعتماد عليه، نقول إنَّ الكنيسة المسيحيَّة على تنوُّع روافدها، وبعد المقارنة بين النّصوص اليونانيّة التقليديَّة التي تختلف

قراءاتها بسبب النسْخ على مثال "النصّ المقبول"، وبين نصوص العهد الجديد اليونانيَّة القديمة والنقيّة والمكتشفة حديثًا، لم تقم أَيٌّ من هذه الكنائس بإصدار بيان، أَو قانون إيمان منقّح أَو جديد، لإيمانها الكتابيّ والتاريخيّ. إنَّ محتويات القراءات المختلفة العقيديَّة لم تبلغ في مراوحتها بين التشديد والتساهل، أَو بين الانضباط والشطط مبلغًا يدعو إلى قرع صفّارات الإنذار، بل كانت طفيفة وغير مهمّة. من أَجل ذلك لم تبدِ الكنائس حراكًا تجاه القيام بأَي تنقيح لأَساسيّات الإيمان.

## رابعًا: تبنِّي معظم الترجمات الحديثة المعتمدة "النصّ المُحقَّق" أَساسًا لها

ولتأْكيد صحَّة قراءات "النصّ المُحقَّق" وسلامتها، نرى الاعتماد الدولي العام على هذا النصّ وشهادته المُعلنة بشأْنه. فقلَّما نجد في عصرنا الحاضر ترجمة حديثة معتمدة لا تتبنّى "النصّ المُحقَّق" أَساسًا لها، أَكان ذلك في أَميركا وأُوروبا، أَم في آسيا وأَفريقيا، أَو حتى في العالم العربي. وفي الفصل الثالث عرضٌ يبيِّن بشكل يقطع الشكَّ باليقين السيرَ باتِّجاه "النصّ المُحقَّق" وهجر "النصّ المقبول" في معظم الترجمات الحديثة.

## **السبب السابع**: تهنئةُ علماء المسيحيّة على اختلاف انتماءاتهم الكنسيَّة لجرأَتهم في التصدي لهذا الأَمر الخطير ومواجهته بكلّ جديَّة ومسؤوليَّة

من المسَلَّم به أَنَّ أَيَّ ممارسة أَو مسار أَو تقليد يستمرّ في حياة البشر الدينيَّة لمدة عدة قرون يغدو راسخًا في ضمائر المتمسّكين به، ويصعب بل يستحيل أَحيانًا تغييره أَو تبديله، والانتقال إلى مسار جديد. وهذا ما واجه الكنيسة المسيحيَّة في ملتقى القرنين التاسع عشر والعشرين في مجال النصّ اليونانيّ للعهد الجديد، المعتبر أَساسَ إيمانها ومرتكزه. فعلى الرغم من سيطرة "النصّ المقبول" على ضمائر شعب الكنيسة وتعوُّد الناس على الترجمات المُعتمِدة على نصِّه لأَكثر من ثلاثة قرون، قام علماء الكنيسة وبكل جرأَة ومسؤوليّة بتحمُّل العبء المتوارث منذ قرون، بإجراء أَكبر ثورة على نير التقليد بإحلال النصّ اليوناني "المُحقَّق" المأْخوذ من المخطوطات الباكرة التي تعود إلى القرون الثالث إلى الخامس، في محلِّ النصّ اليوناني "المقبول" المأْخوذ من المخطوطات التي نُسخت بعد القرن العاشر. بالنسبة إلى هذا الموقف العلمي الجريء، استحق هؤلاء العلماء الذين قاموا بالمناداة به وإحقاقه، تهنئةَ العالم قاطبة.

إنَّ جميع علماء الكنيسة في حقل "تحقيق النّصوص" يتعرّضون، ككلّ عالِمٍ حقيقيٍّ يرغب في إعلان الحقّ الذي يعرفه، لما تعرّض له الرائد يسوع المسيح من رفضٍ وإساءةٍ إلى سمعته وتشهيرٍ به وتهديد لحياته وحتى إلى صلبه. هذه ضريبة العلماء، يدفعونها في سبيل تقدُّم شعوبهم وأُممهم وكنائسهم، ولا يخافون شيئًا ولا يتراجعون عمَّا دُعوا لتأْديته، وشعارهم قول يسوع: "وتعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم" (يو ٨: ٣٢). نعم! إنَّ الحقّ يحرّر مَن عرفه، ومَن ينادي بما عرفه يُحرّر غيرَه به.

وينسحب هذا الموقف الشجاع من قِبل العلماء على كافة المسائل العقيديَّة والأَخلاقيَّة في حياة الكنيسة وممارساتها التي تحتاج إلى تنقيح وإعادة صياغة وتطوير وتغيير. فالمواقف الجريئة في مجالٍ تنادي المواقف الجريئة في مجالاتٍ أُخرى. وعلى هذا المنوال تهمد التقاليد البالية في حياة الكنيسة وتنهض المبادئ الحيّة التي كانت ولا تزال تُشكِّل القيم العليا المتعلّقة بثورة يسوع الدائمة.

**السبب الثامن:** جعلُ علوم الكتاب المقدّس في متناول الباحث العربيّ وبخاصّة مَن لا يعرف لغة أَجنبيّة

مرّ زمانٌ كانت فيه علوم الكتاب المقدّس حكراً على علماء الغرب ومكتباته الشهيرة، ورطَّبت أَجواء صحرائنا في هذا الشرق بعض واحات من اتّصال الموارنة بروما في القرنَين السادس والسابع عشر. وبعد رقاد دامَ قرنين من الزمان، نهضت العلوم الكتابيَّة واللاهوتيَّة من جديد في أَواسط القرن التاسع عشر، بأَيدي المرسلين الإنجيليّين واليسوعيّين والدومنيكانيّين والأَنغليكان الذين وفدوا إلى شرقنا من أَميركا وأُوروبا.

وبعد منتصف القرن العشرين، برز علماء مَحليُّون راسخون في علوم الكتاب المقدّس في مختلف الكنائس الشرقيَّة ممَّا أَدَّى إلى نشوء نهضة في علوم الكتاب المقدّس نتج عنها تنقيح الترجمات السابقة للكتاب المقدّس ووضع ترجمات جديدة له، بالإضافة إلى تأْليف كتب الشرح والقواميس والفهارس، وكتب القواعد اللغويَّة للغات الكتاب المقدّس العبرانيَّة والآراميَّة واليونانيَّة، وكلّها على يد أَبناء الشرق وبلغتهم العربيَّة.

وما إن دخلنا الأَلفيَّة الثالثة في مطلع القرن الحادي والعشرين حتى كانت قد ترسّخت لدى هؤلاء العلماء في الكتاب المقدّس واللاهوت الشرقيّين، بعد أَن كانت براعم خلال العقود السابقة، فكرةُ تعيين الهويّة اللاهوتيَّة لنتاجنا الكتابيّ واللاهوتيّ بين مصر ووادي النيل، من جهة، ولبنان والدول المجاورة له، من جهة أُخرى، تحت اسم "اللاهوت المسيحي الشرق أَوسطي"، أَو "اللاهوت المسيحي العربي". لقد أَضحى لنا لون وهويَّة محدّدة في وسط ما نشأَ من هُوِيَّات لاهوتيَّة في كلّ منطقة وجانب من العالم. إنَّنا نسمع اليوم بلاهوت جنوب شرق آسيا، ولاهوت أَفريقيا، ولاهوت أُوروبا، ولاهوت أَميركا، ولاهوت أَميركا اللاتينيَّة (لاهوت التحرير)، وكلُّ لاهوت ينبع من بيئته ويعالج مشاكل مجتمعه ويُعبِّر عن معاناته وينطق بلسانه، وكذلك نحن في الشرق الأَوسط، آن لنا أَن نُطلق فكراً لاهوتيًّا بلساننا يعالج قضايانا، ويُسهم كما غيرنا يسهم، في إغناء الثقافة اللاهوتيَّة العامة التي تخصّ الكنيسة المسيحيَّة جمعاء، وبالتالي تأْثيرها الإيجابي في الحضارة العالميَّة.

من هنا تظهر الغاية من نشر كتاب مثل هذا يُعنى بالعلوم الكتابيَّة، من الزاوية الحضاريَّة التي نُمثِّل، ولإغناء أَنفسنا من العلم المتراكم عند غيرنا من شركاء جسد المسيح في العالم. ويطيب للمؤلِّف عن قناعة تامة أَن يعمِّم علوم الكتاب المقدّس على جميع الباحثين العرب، ورعاة الكنائس والعاملين فيها على خدمة كلمة الله، من الذين لا يعرفون اللغات الأَجنبيَّة. كما وضع المؤلِّف عهدًا على نفسه أَنه في جميع مؤلَّفاته يسعى لكسر احتكار العلم لدى العارفين باللغات الأَجنبيَّة، وجعل العلوم الكتابيَّة في متناول كلّ الراغبين فيها وإن لم تتوافر لهم معرفة لغة غير لغتهم.

وأَستعير في الختام تعابير بولس الرسول في رسالته إلى أَهل رومية في الفصل الثالث عشر:

ها قد آن الأَوان لننهضَ من النوم،
فالليل قد تناهى واقترب النهار.
لنطرح سلوكَ الظلام ونتأَيَّدَ بالنور
ونُسربِلَ روحَنا بالربّ يسوع المسيح.